جنوب العراق في كتابات الرحّالة الأوربيّين

The south of Iraq in the writings of foreign voyager

م. د. عبد الزهرة شهيد عجمي

جامعة ذي قار/ كلّيّة الآثار

L.Dr Abdulzahra Dhaheed Ojaimi
University of Thi-Qar/
College of Archeology

م. د. باسم ريحان مغامس

مديريّة تربية ذي قار

L.Dr Basim Raihan Mghamis
Thi Qar Directorate of education

ملخّص البحث

تناول البحث الواقع السياسيّ، والاقتصاديّ، والاجتماعيّ لجنوب العراق في بعض كتب الرحلات الأوربيَّة للمنطقة، بالاعتماد على أبرز تلك الرحلات؛ لكونها صوّرت ذلك الواقع العراقيّ عمومًا، والمنطقة الجنوبيَّة منه على وجه الدقّة، ولا سيَّما أنَّ هذه المنطقة تُعدُّ حلقة الوصل بين العراق والعالم الخارجيّ في ضوء إطلالتها على الخليج؛ لذا شهدت المنطقة الجنوبيَّة تعاقب الكثير من الرحّالة الأوربيّين، وممَّا لاشكَّ فيه أنَّ غايات هذه الرحلات وأهدافها التي وإن اختلفت مغازيها ومضامينها إلّا أنَّها بالتأكيد تعكس الاهتمام الأوربيّ بالمنطقة منذ مطلع القرن السادس عشر، عندما بدأ الصراع والتنافس للسيطرة على المنطقة العربيَّة، والتوسّع فيها.

الكلمات المفتاحيَّة: جنوب – العراق – الرحّالة – استكشاف

Abstract

This research focuses on the political, social, and economic condition/realities of the south of Iraq in some books by some main European journeys in the city. These journeys displays the reality of Iraq and the south precisely. The south of Iraq is the link and continuum between Iraq and the world, for Iraq's location on the Gulf. That is why the south has welcome many European voyagers who showed the European interest in this area in the 16th century when the conflict has started to control the Arab nations.

Keywords: South, Iraq, voyagers, discovery

المقدّمة

مثّل العراق عمومًا، والمنطقة الجنوبيَّة خصوصًا قِبْلة للكثير من الرحّالة الأوربيّين الذين تعاقبوا على المنطقة؛ لا لوفرة خيراتها وطبيعتها الشرقيَّة الساحرة فحسب، وإنَّما لأهمّيَّتها الاقتصاديَّة والاستراتيجيَّة، ولا سيَّما أنَّ هذه المنطقة تُعدُّ حلقة الوصل بين العراق والعالم الخارجيّ عبر إطلالتها على الخليج، فضلًا عن أهمّيَّتها الحضاريَّة المعروفة؛ لذا شهدت المنطقة الجنوبيَّة تعاقب الكثير من الرحلات[1]، فكثر اتّصال العراق بالعالم الخارجي، وتعدّدت أوجهه، وصار الكثير من الرحّالة الأوربيّين يقصدون العراق، أو يمرّون به، ويتجوّلون في أرجائه، وإن اختلفت مغازي تلك الرحلات ومضامينها، وتشكّلها غالبًا على وفق منظور القوّة والسلطة المعرفيَّة التي تحكم العلاقة بين الشرق والغرب، وما يداخلها من مفاهيم الهيمنة الفكريَّة والثقافيَّة والسياسيّة..، وعلائقها المتداخلة والمتشابكة. فمن تلك الرحلات ما كان لأغراض سياسيَّة، ومنها ما كان يهتمّ بالأغراض الدينيَّة، وصنف ثالث كانت عنايته بالأغراض الآثاريَّة والعلميَّة، ورابع بالأغراض الاقتصاديَّة والتجاريَّة.

ومع هذا التداخل والتشابك في العلائق والغايات، تبقى تلك الرحلات قد أشّرت لبديهيَّة مركّبة تمثّلت بمدى أهمّيَّة المنطقة والعناية بها، تلك العناية التي تحوّلت لاحقًا إلى سياسات انتهجتها الدول الأوربيَّة؛ لترسيخ مصالحها ونفوذها، بعد ظهور علائم الانحلال في معظم مراكز القرار السياسيّ للدولة العثمانيَّة الحاكمة للمنطقة.

ومن جانب آخر، نجد كتب الرحّالة الأوربيّين قد شكّلت مصدرًا مهمًّا للدراسات التاريخيَّة؛ لما تضمّنته من مخزون تصوّريّ للرحّالة، وطبيعة رؤاهم

وتشخيصهم لواقع الحياة الاجتماعيّ، والاقتصاديّ، والسياسيّ في الجنوب، إذ تتنقل تلك المشاهدات الحيَّة بين وصف المنطقة وبيئتها الجغرافيَّة، ووصف السكّان وطبائعهم وأشكالهم وأزيائهم وطرائق معيشتهم وسلوكهم اليوميّ وعاداتهم وتقاليدهم وصفاتهم...، فضلًا عن وصف الواقع السياسيّ والاقتصاديّ الذي يعيشونه. وهي بذلك قد قدّمت معلومات قيّمة، تميّزت بدقّة الملاحظة والرصد، وسعة الأُفق، والغنى، والشمول، بحيث درست جوانب مختلفة وممتعة من تاريخ المنطقة الجنوبيَّة من العراق. ولذا يحاول البحث رصد أبرز الرحلات التي زارت المنطقة وأهمّها، التي تناولت مجمل أحوالها؛ لما تمثّله من شهادات حيَّة ومعاصرة، ربَّما لم يُلتفت إليها في ذلك الوقت، أو أهملتها الأقلام حينها.

على أنَّ البحث لا يدّعي الإحاطة بجميع كتابات الرحّالة المتعلّقة بالمنطقة، فهي أوسع من أن يُحاط بها بدراسة مماثلة، لكنَّه اختار مجموعة من النماذج البارزة من تلك الرحلات. وقد اقتضت طبيعة البحث أن تُرتّب زمنيًّا، بتسلسل خاصّ لكلّ رحلة.

أوّلًا: رحلة الإيطاليّ تشيزاري فيدريجي (Cesare Federici)[٢]:

هو تاجر إيطاليّ من مدينة البندقيَّة من حيث الأصل، بدأ رحلته عام (١٥٦٣م)، واستمرَّت حتّى عام (١٥٨١م)، طاف خلالها معظم أقاليم الشرق مرورًا بسوريا والعراق[٣]. ويمكن القول: إنَّ الهدف المعلن لهذه الرحلة هو الاتّجار بالجواهر والأحجار الكريمة التي سعى فيدريجي لاقتناء النفيس منها.

وصل صاحب الرحلة بغداد قادمًا من سوريا، وبعدها اتّجه إلى المنطقة الجنوبيَّة نحو مدينة البصرة، مارًّا بمناطق الجنوب تباعًا، عبر رحلته النهريَّة عن طريق المراكب التي كانت تنقل الناس والبضائع في دجلة، وقد توقّف فيدريجي ابتداءً عند وصف

المراكب المصنوعة من الخشب بشكل متين، ويتمّ طلاء أسفل المراكب بالقار، ثُمّ ألمح إلى أنَّ المسافة بين بغداد والبصرة مرورًا بالكوت والعمارة تستغرق ثمانية أيّام أو تسعة، وهذا مرهون بمستوى المياه في نهر دجلة، وذكر أنَّ هناك أماكن يجب على التجّار دفع الضرائب عن بضائعهم إلى الأتراك فيها، وأشار إلى أنَّ نسبة الضرائب عن الحمل الواحد قد تصل إلى بضع قطع من (المؤيّديَّة)[٤].

وفي معرض تناوله الواقع السياسيّ للمنطقة يشير فيدريجي إلى أنَّ هذه المنطقة من العراق هي جزء من بلاد العرب التي كان يحكمها أبناء الجزيرة العربيَّة، أمَّا الآن فهي تخضع للسيطرة التركيَّة التي وضعت فيها إدارة كبيرة تنفق الكثير من الأموال[٥].

ويُسهب صاحب الرحلة في تناوله قوّة رجال هذه المنطقة ومقاومتهم الاحتلال العثمانيّ، فيذكر فيدريجي أنَّ عرب هذه المنطقة يرفضون الخضوع للحكم التركيّ الذي لا يستطيع إخضاعهم؛ لكون رجال هذه المنطقة هم رجال قتال ودراية بطبيعة المنطقة وجغرافيتها، ولذا يرى صاحب الرحلة أنَّ الأتراك ليس بمقدورهم فرض سيطرتهم على أهل هذه المنطقة؛ لما تتمتّع به من مزايا جغرافيَّة وطبيعيَّة، ولا سيَّما مع كثرة القنوات المائيّة التي تتّصل بالبحر بين كبيرة وصغيرة، بحيث تتكوّن مواقعهم من جملة جزر، لا يستطيع الجيش التركي التوغّل فيها، لا عن طريق الماء، ولا عن طريق اليابسة[٦].

لقد حملت رحلة فيدريجي بين ثناياها معلومات كانت غاية في الأهمّيَّة، تمثّلت بمتابعتها الجانب السياسيّ، وتطوّرات الأحداث الدائرة بين السلطة العثمانيَّة وأبناء الجنوب، فضلًا عن مراقبتها الواقع الاقتصاديّ، أضف إلى ذلك أنَّها مثّلت لمرحلة تأسيسيَّة أغرت الكثير من الرحّالة الأوربيّين لمحاكاة تلك الرحلة وتقليدها، على الرغم من تباين اتّجاهات الرحّالة، واختلاف انتماءاتهم الثقافيَّة والطبقيَّة.

ثانيًا: رحلة الإيطاليّ كاسبارو بالبي (Kasparo Balbi)[٧]:

بدأ كاسبارو رحلته في عام (١٥٧٩م) بعد رحلة فيدريجي، فوصل إلى بغداد قادمًا من مدينة دير الزور السوريَّة، ثُمّ اتجّه إلى المنطقة الجنوبيَّة التي وصلها في آذار من عـام(١٥٧٩م)[٨]. وكان الهدف المعلن من وراء الرحلة هو التجارة، ولا سيَّما أنَّ صاحب الرحلة مهتمّ جدًّا بالموازين والنقود والمقاييس المتداولة في بلاد ما بين النهرين. وبعد وصوله إلى المنطقة الجنوبيَّة وصف كاسبارو الوضع السياسيّ بقوله: «إنّه يتّسم بالتأزّم بين سكان مدينة العمارة والحكّام الأتراك، وقد سجّل ملاحظاته عن الوضع السياسيّ هناك، فأشار إلى أنّ الحكّام العثمانيّين قد شيّدوا حصنًا تعسكرت فيه أعداد كبيرة مـــن الجنود، وذلك بغية تأمين الطريق، وصدّ هجمات السكّان المحلّيّين على الحاميات التركيَّة»[٩].

وتطرّق كاسبارو لوصف منطقة شـمال البصرة، فقال: «إنّهـا منطقة أهـوار ومستنقعات، يمتاز أهلها بإتقانهم مهنة الصيد، إذ يستخدم سكّان المنطقة آلة لطيفة جدًا- حسب وصف الرحّالة- يصطادون بها كمّيّات وافرة من الأسماك، وهي عبارة عن قصبة مدبّبة الرأس، ويبدو أنَّه يقصد بذلك (الفالة)[١٠]-، التي يستخدمها سكّان الأهوار لاصطياد السمك»[١١].

وأشار إلى أنَّ السكّان هناك يعيشون حياة هانئة، لغنى المنطقة بالثروة السمكيَّة والحيوانيَّة، وكثرة ما عندهم من الحنطة، لافتًا النظر إلى أنَّ حبَّة الحنطة هناك كبيرة نسبيًّا، بحيث تفوق الحجم الاعتياديّ، ويرى أنَّ السبب في ذلك يعود إلى أنَّ هناك حقولًا واسعة وفسيحة جدًّا، فترتاح السنابل في تلك الحقول، وتنمو بشكل أفضل. وهو ما انعكس بشكل إيجابيّ على المنطقة، فكانت عامرة بالسكّان والدور[١٢].

وأشـار إلى الإهمـال المُتعمّد للواقع الصحيّ على الرغم من حالة الانتعاش الاقتصاديّ، وهذا الإهمال كانت تتقصّده السلطات العثمانيَّة- حسب رأي الرحّالة- فهو يرى أنَّ فساد هواء المنطقة؛ بسبب ارتفاع درجات الحرارة يُسهم في انتشار الأوبئة والأمراض المعدية، فضلًا عن أنَّ تزايد أعداد الحشرات هو الآخر يتسبّب بالأمراض الانتقاليَّة، وأنَّ السلطات العثمانيَّة لا تولي الجانب الصحيّ أيَّة أهمّيَّة تُذكر، فهي لا تقوم بمكافحة الحشرات والأمراض الوبائيَّة التي يذهب ضحيّتها أعداد كبيرة من السكّان المحلّيّين(١٣).

ثالثًا: رحلة الإيطاليّ بيترو ديلا فاليه (Pietro della Valle):

وُلـد صاحب الرحلة في (١١/ نيسان/ ١٥٧٦م)، من أبوين شريفين ضمن أُسرة رومانيَّة عريقة(١٤). ويمكن القول: إنَّ الهدف الرئيس من وراء الرحلة يكمن في غايات أدبيَّة، ورغبات علميَّة، أراد صاحب الرحلة عن طريق سفره إلى الشرق التعرّف على شعوبه، وتسجيل انطباعاته على الأماكن التي يمرّ بها، واستخدم طريقة الرسائل لتدوين المعلومات التي حصل عليّها، علمًا أنَّ ديلا فاليه لم يكن رجل دولة، أو ذا منصب سياسيّ؛ لذلك ابتعدت الرحلة عن الدوافع السياسيَّة(١٥).

وصل الرحّالة الإيطالي إلى المنطقة الجنوبيَّة في شهر آيار عام (١٦٢٥م) قادمًا من بغداد عن طريق القوارب في نهر دجلة، فأشار إلى أنّ المنطقة مترامية الأطراف، وعامرة بالسكّان مع رداءة في العمران، على الرغم من أنَّ الأرض مستوية ومفتوحة، وأبرز ما شاهده هو اشتداد هجمات الدولة الصفويَّة(١٦) على المنطقة الجنوبيَّة(١٧).

وفي معرض ملاحظاته عن الواقع الاجتماعيّ أشار الرحّالة إلى أنّ سكّان المنطقة جلّهم من العرب، مع وجود أقليّات تركيَّة، وفارسيَّة، وذكر أنَّ اللغة العربيَّة هي الأكثر

انتشارًا، والديانة الرئيسة هي الإسلام، وأنَّ مذاهب المسلمين مُقسّمة بين (الشيعة والسنة)، ونصّ صاحب الرحلة على أنَّ الأذان يُقام على طريقة المذهب السنّيّ، فضلًا عن باقي الصلوات والطقوس؛ لأنَّ المنطقة تخضع لحكم السلطان العثمانيّ السنّيّ[١٨].

ولعلّ الشيء الذي أثار إعجاب ديلا فاليه، هو التنوّع الدينيّ بين أبناء المنطقة الجنوبيَّة، مع تمتّع الجميع بقدر كافٍ من الحرّيَّة بممارسة الطقوس الدينيَّة، فذكر أنَّ المنطقة تحوي عددًا من (النصارى الكلدان) الذين يُطلق عليّهم اسم (نصارى القدّيس يوحنّا) أو (الصابئة)[١٩]. ونصّ ديلا فاليه على أنَّهم يتكلّمون فيما بينهم بلغة كلدانيَّة مُحرّفة تُسمّى (اللغة المندائيَّة)، ومنها أُخذ اسمهم (مندائيّون)، مشيرًا إلى أنَّ لهذه الديانة كتابًا مُقدّسًا وحيدًا يُسمّى (السذرا)[٢٠].

وفي السياق نفسه ألمح ديلا فاليه إلى أنَّه نظرًا لوجود أعداد جيدة من المسيحيّين في المنطقة، فإنَّ ذلك شجّع الرهبان الكرمليّين والأوغسطينيّين وغيرهم على فتح بعثات تبشيريَّة فيها، وذكر الرحّالة أنَّ هناك كنائس منتشرة في المنطقة، يتّبع كلٌّ منها رهبانيَّتها الخاصَّة، وتتمّ فيها ممارسة الشعائر الدينيَّة لكلِّ طائفة[٢١].

وبالتناغم مع الواقع الاجتماعيّ الذي تناوله الرحّالة، كان للواقع الاقتصاديّ اهتمام في مذكّرات ديلا فاليه، فأشار إلى أنّ الجانب الاقتصاديّ للمنطقة امتاز بالانتعاش، ولا سيَّما بعد سقوط قلعة هرمز بأيدي البرتغاليّين[٢٢] الذين زادوا من وفودهم التجاريَّة في المنطقة وبالأخصّ مع المتعاملين مع الهند[٢٣].

رابعًا: رحلة الأب الفرنسيّ فيليب الكرملي:

ولد الأب فيليب الكرمليّ في فرنسا عام (١٦٠٣م)، وعمل في السلك الكنسيّ، وانتدب للعمل في بلاد فارس، فقدم إليها عام (١٦٢٨م)، ثمّ بدأ رحلته إلى العراق

في العام التالي (١٦٢٩م). وواضح أنَّ رحلته كانت لغايات دينيَّة وتبشيريَّة[٢٤].

غادر الأب فيليب بلاد فارس متّجهًا إلى جنوب العراق إثر اشتداد النزاع المسلّح بين الدولة العثمانيَّة والدولة الصفويَّة، وذلك في (١٧/ آيار/ ١٦٢٩م) عن طريق البحر، وذكر أنَّ رحلته في البحر لاقت صعوبات جمّة، إذ جرفت الرياح السفينة التي كان يستقلّها بعيدًا، وقد نفدت المواد الغذائيَّة ومياه الشرب، بيد أنَّ القرى القريبة التي كانت تقطن الشواطئ استقبلته بلطف وكرم عظيم، فقدّمت له المساعدة المطلوبة[٢٥].

وفي ذلك يشير الرحّالة إلى أنَّ سكان إحدى القرى العربيَّة قد قدّموا لهم الخبز واللبن والتمر، وكلّ ما كان عندهم في ذلك الموسم. ونصّ على أنَّهم بعد أن أنقذونا وأطعمونا طلبنا منهم المزيد من الأغذية على سبيل الشراء، فأعدّوا لنا كلّ ما طلبناه، بيد أنّهم رفضوا بشكل قاطع استيفاء ثمن ما قدّموه لنا من المؤونة، وقالوا لنا باعتزاز: «إنّ الضيافة واجب علينّا، لكلّ عابر سبيل أيًّا كان»[٢٦].

ولم تكن ظاهرة التنوّع الدينيّ ببعيدة عن اهتمام الرحّالة ومشاهداته الاجتماعيَّة هناك، إذ ذكر أنَّ المنطقة توجد فيها طوائف عدّة من المسيحيّين منهم: (الأرمن واليعاقبة والنساطرة)، فضلًا عن أعداد مهمّة من نصارى القدّيس يوحنّا، الذين وسمهم فليب بأنّهم مندائيّون يُعرفون باسم الصابئة[٢٧].

خامسًا: رحلة الفرنسيّ تافرنييه (Tavernier):

شهد النصف الأوّل من القرن السابع عشر تعدّد الرحلات الأوربيَّة وتنوّعها التي قصدت العراق؛ بهدف التعرّف على طبيعة النظام السياسيّ، والرغبة الجامحة في رسم ملامح النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ لهذا البلد، ومن بين تلك الرحلات تأتي رحلة الفرنسيّ تافرنييه الذي زار العراق في عام (١٦٥٢م) قادمًا من بلاد الشام، واتّجه جنوبًا

قاصدًا البصرة مرورًا بالمنطقة الجنوبيَّة من العراق[٢٨].

ولعلّ ممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الهدف من الرحلة هو استحصال المزيد من المعلومات عن البلدان الشرقيَّة، وبذلك يمكن القول: إنَّ الغايات المترتّبة على الرحلة هي غايات سياسيَّة ثقافيَّة، يحدوها الميل نحو اكتشافات جغرافيَّة جديدة، ولا سيَّما أنَّ تافرنييه كان قد زار معظم دول أوربا، وخدم في أبرز قصور حكّامها وهو لم يبلغ الخامسة عشر من عمره[٢٩].

استقلّ الرحّالة تافرنييه سفينة من بغداد قاصدًا الجنوب، وذلك بتاريخ (١٥/ آذار/ ١٦٥٢م)، وسارت السفينة في نهر دجلة. وممَّا سجّله صاحب الرحلة من المشاهدات هو أنَّ معظم القرى العربيَّة التي مرّ بها كانت تبيع منتجاتها الزراعيَّة بأثمان زهيدة جدًّا، وفي معرض وصفه الأماكن التي مرّ بها يشير تافرنييه إلى أنَّ أهمّ المدن التي مرّ بها في الطريق هي العمارة، إذ وجدها مدينة كبيرة عامرة، كما ذكر أنَّه مرّ بالمنصوريّ والمجرّ والعزير وصولًا إلى القرنة حيث موضع اقتران نهرَي دجلة والفرات[٣٠].

وفي إطار تناوله الجانب الاقتصاديّ، رأى صاحب الرحلة أنَّ الأراضي الواقعة بين بغداد والبصرة هي من أفضل أراضي السلطان العثمانيّ، إذ تكثر فيها الأنهار، فضلًا عن احتوائها على مراع واسعة، تضمّ أعدادًا كبيرة من الحيوانات، خصوصًا الجواميس التي تدرّ حليبًا وافرًا، تُستخلص منه مقادير وافية من السَّمْن، وذكر أنَّه شاهد في نهر دجلة أنَّ قرى هذه المنطقة استطاعت أن تزود خمسًا وعشرين سفينة بالسَّمْن الحيوانيّ الذي يتمّ بيعه في جميع بلدان الخليج بجانبيه العربيّ والفارسيّ[٣١].

وفي ضوء ذلك يشير الرحّالة إلى أنَّ هذا النموّ الاقتصاديّ ما كان ليتحقّق لولا الاستقرار السياسيّ الذي وفّره الوالي (حسين آل فراسياب)[٣٢]، الذي عُيّن واليًا للبصرة، إذ يؤكّد تافرنييه في هذا السياق أنَّ الوالي انتهج سياسة ناجعة تمكّن عن

طريقها إقامة علاقات سياسيَّة واقتصاديَّة مع عدد من الدول الأجنبيَّة، وقد انعكس ذلك- بحسب رأي تافرنييه- على الواقع الاجتماعيّ، إذ أشار إلى أنَّه كان يتلقّى الترحيب من سكّان المنطقة أينما حلّ لا سيَّما في مدينة البصرة[٣٣].

فضلًا عن ذلك أبدى الرحّالة انبهاره الكبير بالتنوّع الدينيّ الذي عمّ المنطقة، مع شيوع روح المحبّة بين الأديان والطوائف، وذكر أنّ هناك طائفة تُسمّى (الصابئة)، ينتسبون في طقوسهم الدينيَّة إلى القدّيس يوحنّا المعمدان، وطقوسهم في الزواج ودفن الموتى تختلف عن المسيحيّين، فضلًا عن المسلمين[٣٤].

سادسًا: رحلة دومنيكو سيستيني (Domenico Sestini):

اهتمّ صاحب الرحلة منذ صباه بالفنّ والجمال لا سيَّما أنَّه من أهل مدينة فلورنس ذات البيئة الثقافيَّة المميّزة، وهو أكاديميّ وأحد مثقّفي عصره[٣٥]، ولذا يمكن القول: إنَّ الرحلة جاءت لأغراض علميَّة وثقافيَّة، مع الاهتمام الملحوظ لصاحب الرحلة بالآثار والحضارات الشرقيَّة.

ابتدأت الرحلة في تموّز من عام (١٧٨١م)، عندما استقلّ الرحّالة القوارب النهريَّة المنطلقة من بغداد باتّجاه البصرة عن طريق نهر دجلة، وفي (٣٠/ تموّز)، وصلت الرحلة إلى مدينة العمارة، فأسهب الرحّالة بوصفها، فذكر أنَّها تقع في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة، وأنّهم جدّدوا المؤن الغذائيَّة، وتزوّدوا بالموادّ اللازمة، لا سيَّما شراء الحليب والسَّمْن الحيوانيّ وشراء الخِراف[٣٦]، وأشار سيستيني إلى أنَّ العمارة وأهوارها تسكنها قبائل عربيَّة متنوّعة، وتمتاز أهوارها بتنوّع بيئيّ كبير، من حيث احتوائها طيورًا كثيرة مثل: البجع، والكروان، وعصافير الماء[٣٧].

وفي معرض تناوله الجانب الاجتماعيّ يؤشر الرحّالة لأمر مهمّ، تمثّل بسيادة روح التعايش السلميّ بين أبناء المنطقة، ونصّ سيستيني على أنَّه في يوم (٣/ آب) وصلت الرحلة الى منطقة العزير وفيها قبر (عزرا النبيّ)، الذي يحظى باحترام وتقديس كبيرين لدى المسلمين، الذين شيّدوا عليّه معبدًا يحجّ إليه اليهود[٣٨].

وبعد وصول الرحلة إلى البصرة قرّر الرحّالة العودة إلى بغداد عبر نهر الفرات، فقفل راجعًا في (٢٨/ أيلول من عام١٧٨١م). وأسهب في تناول الواقع السياسيّ والاقتصاديّ في المناطق التي مرّ بها، فقال: إنَّه وصل إلى مدينة (الديوانيَّة) في يوم (١٠/ تشرين الأول)، وشاهد في هذه المدينة قلعة كبيرة تتبع للباشا العثمانيّ في بغداد، وهي مدجّجة بالمدافع والجند؛ لأنَّ المنطقة في جنوب العراق في قتال مستمرّ مع الدولة العثمانيَّة، والمناوشات الحربيَّة بين الطرفين مألوفة في هذه الديار[٣٩]، وأنَّ السلطات العثمانيَّة كانت تقوم برفع مستوى المياه في نهر الفرات؛ لإغراق المدينة، عندما تشعر بخطر تحرّكات أبنائها[٤٠].

وتطرّق سيستيني إلى وصف الجانبين الاقتصاديّ والاجتماعيّ، فذكر أنّ الديوانيَّة بلدة كبيرة، تقع على الجانب الأيمن من نهر الفرات، وأهل هذه المدينة من أبرز صُنّاع نسيج العباءات العربيَّة، وأبدى الرحّالة إعجابه بعمليّة صبغ العباءات، فقال: إنَّ الصُنّاع يستخدمون قشور الرمّان لغرض صبغها باللون الأسود، وإنَّ الحالة الاقتصاديَّة لهذه المدينة جيّدة، ولا سيَّما أنَّ المال كان وفيرًا والتجارة قائمة[٤١]. وألمح الرحّالة للواقع الاجتماعيّ المستقرّ لمدينة الديوانيَّة، فأشار إلى أنّ جُلّ سكان هذه المدينة ينحدرون من قبيلتي (الجبور والأكرع)، وهذه القبائل تعيش في وفاق وتآلف بين أفرادها[٤٢].

سابعًا: رحلة البريطانيّ جون تايلر (John Tyler):

وهي من أهمّ الرحلات التي جابت أرض العراق عام (١٧٨٩م)، ورجل الرحلة هو ضابط بريطانيّ، يعمل لحساب شركة الهند الشرقيَّة البريطانيَّة، وعليّه فقد أُوفد من إدارة الشركة؛ للاطّلاع على أوضاع العراق السياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وتزويدها بالمعلومات الوافية، حتّى أضحى صاحب الرحلة من المتخصّصين بشؤون الشرق(٤٣).

ولعلّ من نافلة القول أن نقول: إنَّ أهمّيَّة الرحلة متأتّية من اتّساع المصالح البريطانيَّة وتشعّبها في المناطق الخاضعة للدولة العثمانيَّة، ولا سيَّما في العراق، لذلك ابتدأ تايلر رحلته برًّا قادمًا من بلاد الشام، مرورًا بالمنطقة الغربيَّة من العراق عبر السفر بالقوافل البريَّة. ويبدو من الوهلة الأُولى أنَّ الهدف المُتوخَّى من الرحلة هو اكتشاف أهمّ الطرق البحريَّة والبريَّة الرئيسة الموصلة إلى الهند، فضلًا عن رسم الخرائط العسكريَّة للمنطقة، وهو يذكر هنا أنَّ الطرق البريَّة التي تربط الهند بالعراق هي أسرع الطرق وأقصرها، فضلا عن أنَّه قدّم خارطة مُفصّلة للطرق التي تسلكها القوافل التجاريَّة البريَّة، وذكر أنَّ السلطات العثمانيَّة لا تعرف الأهمّيَّة السوقيَّة لهذه الطرق؛ لذلك أهملتها بالكامل(٤٤).

عند وصول تايلر إلى حلب قام باستئجار قافلة متكوّنة من أربعين رجلًا بدويًّا، جُلّهم من أهالي مدينة الزبير في البصرة؛ لأنّهم كانوا أكثر معرفة في تسيير القوافل البريَّة آنـذاك(٤٥). وذكر أنَّه وصل في يوم (١٠/ كانون الثاني عـام١٧٩٠م) إلى منطقة السماوة، ويضيف أنّها كانت بلدة صغيرة، يحيط بها سور مُحصَّن بتحصينات عاديَّة كتلك المنتشرة في معظم مناطق الشرق، ونصّ على أنَّ أحد مشايخ المنطقة ذكر لهم أنَّ عدد مساكن أهالي السماوة يبلغ نحو ثلاثمائة بيت، وأشار إلى أنَّهم كلّما اقتربوا من الفرات كانت الأرض أقلّ جفافًا، وأكثر خصوبة ورطوبة،

فتظهر لهم النباتات والأدغال العالية. ونظرًا للأمان الذي تنعم به المنطقة أشار تايلر أنَّ القافلة قرّرت المبيت في موضع يقال له (أمّ الحنطة)، وهو مكان كثير الكلأ والأنواع المختلفة من الأدغال، ونصّ على أنَّهم التقوا هناك بمجموعة من (الدراويش) مكوّنة من خمسة أشخاص كانوا قادمين من البصرة. ويبدو أنَّ الرحّالة تجاذب معهم أطراف الحديث، فبيّنوا له أنَّهم تركوا البصرة منذ (٥أيام)، وأنَّهم يتنقّلون في هذه المناطق، ويسافرون بكلِّ أمان واطمئنان، ويلقون الترحيب والاستقبال الجيّد من الأعراب في كلّ منطقة، وكان الأعراب يتعرّفون عليّهم من بعيد عن طريق أصوات القرون الصغيرة التي ينفخون بها قبل وصولهم لأيّ منطقة مأهولة بالسكّان كإعلام عن وصولهم، أو عند مرورهم بقوافل المسافرين. ونصّ تايلر على أنَّ قافلتهم أبدت التعاون والاحترام لهؤلاء الدراويش واعتنوا بأمرهم، وقدّموا لهم كمّيَّة وافرة من التمر(٤٦).

وأضاف أنَّ هذه المنطقة تبعد عن الفرات مسافة ميلين تقريبًا، فكانوا يشاهدون على البعد الأشجار العالية على شاطئَي الفرات، وشاهدوا قلعة قديمة آلت إلى خراب كانت تُسمّى (الجرية). وهناك التحق بهم رجل من السماوة، وهو شبه عار، وقد تعمّد السفر بهذا الشكل؛ ليتجنّب مضايقات البدو الذين ليسوا من عشيرته ونهبهم، فانضمّ لقافلتهم، وسار معهم وقد أكرموه. وذكر أنّه شاهد في الطريق حُفَرًا فيها كمّيَّات كبيرة من المياه الراكدة طيّبة المذاق. وعند استراحتهم في الليل في منطقة (أمّ الحنطة) سمعوا زئير أسد، فأطلقوا عليّه النار فابتعد عنهم. وفي الصباح غادروا المنطقة، ومرّوا بقرية تُسمّى (قرية طاهر) تقع على ضفّة نهر. ونصّ على أنَّ الطريق نحو الفرات كانت مشبعة بالملح، وكان مجرى الفرات واضحًا؛ لكثرة الغابات الملتفّة على جانبيه، وأنَّ هناك قرى كثيرة مأهولة بالسكّان(٤٧).

ونصّ الرحّالة على أنَّه بعد مرور يومين من مسيرهم وصلت القافلة لواء المنتفق في يوم (١٢/ كانون الثاني)، وأنَّه حين وصوله إلى المنتفق شاهد عددًا غفيرًا من الرجال، قدّرهم بنحو ثلاثمائة رجل بكامل سلاحهم من بنادق وسيوف، يقفون وراء الخنادق لحراسة المنطقة، وبيارقهم ترفرف فوق الخنادق. وشاهد مجموعة من الرجال المسلّحين وهم يسيرون بانتظام، وهم يحملون رماحًا طويلة يبلغ طول الرمح منها ست أقدام، وكانت مجموعة منهم تحمل البنادق، وعندما اقتربوا منهم تقدّم نحوهم قرابة خمسة عشر رجلًا من الفرسان من أولئك الرجال المسلّحين، وتقدّم منهم فارس شهر رمحه بوجوههم، ظنًّا منهم أنَّ القافلة من الأعداء، وبعد أن تعرّف على القافلة ورئيسها من البصرة، وتحدّث معه باللهجة المحلّيَّة، تبدّدت المخاوف من الطرفين، فأكرمهم الرجال المسلّحون، وقدّموا للقافلة الغذاء بكرم بالغ، فأطعموهم اللحم والخبز والسَّمْن واللبن، وكلَّ ما كان بحوزتهم من موادّ غذائيَّة، ونظرًا للحفاوة التي لمسوها من هؤلاء الرجال، طالب رئيس القافلة أن يجدُّوا المسير، ليصلوا قرية شيخ المنتفق ليقضوا الليلة في ضيافته(٤٨).

وصل تايلر مع القافلة الى بلدة سوق الشيوخ، وراح يُسهب في وصفه سكّان هذه البلدة، إذ أشار إلى أنَّ معظم أهالي هذه البلدة يمتطون الجياد العربيَّة الأصيلة، فضلًا عن أنَّهم مدجّجون بالسلاح الجيّد، وأنَّهم يرتدون الملابس الجيّدة، وأنَّ المشاة منهم كانوا أقلّ انتظامًا، وكان بعض الرجال يلبسون الكوفيَّات على رؤوسهم، وهم مؤتزرون بقطع من القماش على أوساطهم، ومسلّحون برماح طويلة، وكان أكثر تلك الرماح يبدو عليّها الصدأ، وكانت هناك خيام مصنوعة من نسيج الصوف والوبر، وهي معدّة بشكل جيّد؛ لمقاومة المطر، والمحافظة على الدفء من دون أن تكون حارّة جدًّا، وهي منصوبة بطريقة تثير الدهشة. وأشار إلى أنَّ أراضي المنطقة كانت قد حُصدت من محصول الحنطة قبل

وقت قصير، وهي مقسّمة على حقول متعدّدة؛ ليسهل ريّها بالماء، وكانت الحقول كثيرة الكلأ والأعشاب، وهناك مواشي القبيلة وحيواناتها ترعى في تلك الحقول، منها الأبقار والثيران والماعز والأغنام وعدد من الخيل والإبل، بما يقارب بضعة آلاف رأس. وإنّهم أثناء قطعهم الطريق نحو بيت شيخ المنتفق في سوق الشيوخ، شاهدوا عددًا من قطعات المحاربين المنتشرة في تلك المناطق، وكانت القطعات الأُولى التي التقوا بها هي مقدّمة الجيش. ونظرًا للواقع الاقتصاديّ والاجتماعيّ المستقرّ لهذه البلدة، رأى تايلر أنَّ سكان سوق الشيوخ تظهر على محيّاهم الكثير من سمات الطيبة والنبل والشرف، وقال: إنَّهم يمتازون بالوجوه الهادئة(٤٩).

وعند تناوله الجانب الاقتصاديّ للمنتفق ذكر تايلر أنَّ المنطقة تنعم بأراضٍ واسعة ومنبسطة؛ لذا فإنّه يرى أنّ القرى منتشرة بشكل واسع على ضفّتي نهر الفرات، زيادة على وجود مراعٍ واسعة وخصبة، ويشير إلى أنَّ هذه العوامل مجتمعة ساعدت قبائل المنتفق على امتهان الزراعة وتربية الحيوانات من الماشية والإبل بأعداد كبيرة جدًّا(٥٠).

قدّم الرحّالة تايلر وصفًا دقيقًا لصفات عرب جنوب العراق، فأشار إلى أنّ الجميع متّفقون على أنّ العرب في قبائلهم يتحلّون بصفات اجتماعيَّة غاية في النبل، مثل التزام العهود، والاعتزاز بإكرام الضيوف الذين يقصدونهم، ويتفاخرون كثيرًا بحماية الغرباء(٥١).

وعلى أيَّة حال كانت رحلة البريطانيّ تايلر قد أرّخت لمرحلة تاريخيَّة مهمَّة عاشتها المنطقة الجنوبيَّة من العراق، اتّسمت بسمات عدّة منها: الغياب الواضح للإدارة العثمانيَّة في إدارة شؤون المنطقة، ولا سيَّما الاجتماعيَّة منها، فضلًا عن الانتعاش الذي زخر به الناتج المحلّيّ من الزراعة، واعتماد أهالي المنطقة على إمكاناتهم المحدودة في إدارة شؤونهم الاقتصاديَّة، التي اتّسمت بالنموّ والاتّساع، بيد أنّ هذا الاتّساع كان

قد أُصيب بالشلل التامّ والتأخّر، لا سيَّما بعد الضعف الكبير الذي نخر جسد الدولة العثمانيَّة، على إثر ازدياد التدخّلات الأوربيَّة في معظم المفاصل الإداريَّة للدولة، حتّى أضحت الأقاليم العثمانيَّة ساحة رحبة للصراعات السياسيَّة بين الدول الأوربيَّة الكبرى، ممّا انعكس على حياة الناس، لا سيَّما في العراق.

ثامنًا: رحلة البريطانيّ جاكسون (Jackson):

صاحب الرحلة هو واحد من موظّفي شركة الهند الشرقيَّة[٥٢]، وهي الشركة التي مهّدت لبريطانيا احتلال الهند والطرق المؤدّية إليها، لذلك يمكن القول: إنَّ الهدف الكامن وراء الرحلة هو جمع المعلومات الجغرافيَّة والسوقيَّة لأقاليم الشرق، لا سيَّما مناطق جنوب العراق.

ابتدأت الرحلة في (آيار/ ١٧٩٧م)، وانطلق بها جاكسون من ميناء بومباي قاصدًا البصرة[٥٣]. وفي يوم (٢٩/ حزيران) وصلت الرحلة إلى مدينة سوق الشيوخ، ويذكر جاكسون في معرض وصفه هذه المدينة وواقعها الاجتماعيّ والاقتصاديّ، أنَّها مدينة كبيرة وواسعة ومأهولة بالسكّان، وهي مقرّ (الشيخ ثويني السعدون)، وهو من الأمراء العرب، وتخضع لحكمه الضفّة اليمنى من الفرات من الحلّة إلى البصرة[٥٤]. وذكر جاكسون عند وصوله لهذه المدينة تمتّعه بتناول وجبة غداء على الطريقة العربيَّة، وقد تألّفت تلك الوجبة من عشرين سمكة مقليَّة بالسَّمْن، واثنتي عشرة دجاجة مسلوقة، وأقراص من الخبز، وكمّيَّات وفيرة من اللبن، وذكر أنَّه تناول هذه الوجبة على الأرض كما هو الحال عند العرب[٥٥].

فضلًا عن ذلك أسهب جاكسون في وصفه طريقة صنع الخبز في سوق الشيوخ، وهو لا يُخفي إعجابه، فذكر أنَّ المرأة العربيَّة بارعة في عمل الخبز، وهي تستعمل فرنًا

من اللّبِن، يتراوح ارتفاعه ما بين قدمين وثلاث أقدام يُسمّى (التَّنُّوْر)، وفيه شقّ في قعره؛ لغرض سحب الرماد، ولعلّ أبرز ما شاهده هذا الرحّالة ووثّقه هو حذق المرأة العربيَّة في صنع الخبز، فقال: تشرع المرأة باقتطاع العجين، وتقوم بتكويره، ثُمَّ تقوم بتمديده على يدها، وإلصاقه على جانبي الفرن، وأنَّ الوقود المستخدم في صنع الخبز لا يتطلّب نصف ما يتطلّبه صنعه في أوربّا[٥٦].

وكان للجانب الاقتصاديّ جزء مهمّ من مشاهدات الرحّالة، فقد ذكر أنَّ سوق الشيوخ تحتوي سوقًا كبيرًا يمتدّ طوله نحو ميل، وأشار جاكسون إلى أنَّ هذا السوق تُفتح أبوابه من شروق الشمس، ويبقى مفتوحًا حتّى الساعة التاسعة صباحًا، ثُمَّ تُغلق أبوابه لتُفتح ثانية عند الساعة الثالثة بعد الظهر، ويستمرّ حتّى المغيب[٥٧]. فضلًا عن ذلك ذكر أنَّ المدينة تحتوي مقاهي يرتادها معظم أبناء المدينة، ونصّ على أنَّه دخل إحدى تلك المقاهي، وتناول القهوة العربيَّة على عادة سكّان المنطقة، وأُجبر على تدخين التبغ، إذ يقدّم السكان المحلّيّون ذلك بغليون طويل جزءًا من الترحيب بالضيوف، ووصف صاحب الرحلة أقداح القهوة، فقال: إنَّها تشبه نصف بيضة مصنوعة من الزجاج الصينيّ[٥٨].

تاسعًا: رحلة البريطانيّ سوانس كوبر (H. S. Cowper):

بدأت الرحلة من بغداد باتّجاه البصرة، وذلك في نيسان عام (١٨٩٣م)، إذ يُشير كوبر إلى أنَّه استقلّ سفينة تعود الى شركة لنج (Lynch)[٥٩] البريطانيَّة التي تعمل في الأنهار العراقيَّة في تلك الحقبة، ويجد بواخرها أفضل من البواخر التركيَّة وأقوى[٦٠]. وصل كوبر إلى الجنوب، ودخل منطقة عليّ الغربيّ، وأشار إلى الحالة الاجتماعيَّة هناك، فنصّ على أنَّ أهالي هـــذه المنطقة هـــم تجمّعات عشائريَّة من قبائل بني لام وغيرها،

وأنَّ هذه القبائل استطاعت إقامة علاقات طيّبة مـع الأكراد الموجودين في المناطق الشرقيَّة، فأشار إلى أنَّ قبائل بني لام تتبادل الزواج مـع أكراد المنطقة(٦١).

وعند وصوله إلى مدينة العمارة نصّ على أنَّ سكّانها يبلغون حوالي خمسة آلاف شخص، ويمتاز هذا العدد من السكّان بتنوّع دينيّ واضح، فعلى الرغم من الأغلبيَّة المسلمة توجد أعداد لا بأس بها من اليهود والمسيحيّين، فضلًا عن أعداد كبيرة من الصابئة(٦٢).

ووصف الرحّالة حالة العوز الذي تعانيه المنطقة، لا سيَّما منطقة قلعة صالح، فأشار إلى أنّه شاهد أعـدادًا كبيرة من المعدان العرب وهم شبه عراة، وقد أثار مظهرهم هلع ركّاب السفينة، وتبيَّن أنَّ ذلك المنظر كان بسبب موجة الفيضانات التي اجتاحت المنطقة(٦٣).

وعلى الرغم من حالة الفقر الشديد الذي تعانيه المنطقة، أشار صاحب الرحلة في جانب آخر إلى حالة التسامح الدينيّ الذي يعمّها، فذكر أنَّه وصل إلى ضريح عزرا المُسمّى بالعزير، وهو مكان يقع على الضفّة اليمنى للنهر، وتحيطه أشجار النخيل، ويُعدّ هذا الضريح مقدّسًا لدى المسلمين واليهود، فأكّد صاحب الرحلة أنَّ المسلمين أقاموا جامعًا كبيرًا فوق الضريح، وأشار إلى أنَّ المسلمين ودودون للغاية مع اليهود الذين يرتادون المكان، إذ تصل أعدادهم إلى أكثر من خمسة آلاف شخص سنويًّا(٦٤).

وعند وصوله الى منطقة الأهوار أبدى صاحب الرحلة إعجابه بالطبيعة الحياتيَّة للمنطقة، فأشار إلى أنَّ وجود نباتات القصب والبردي الكثيرة وفّرت أماكن مريحة لأنواع متعدّدة من الطيور مثل الغربان والبجع وطيور الشنقب ومالك الحزين وغيرها، فضلًا عن أنواع أُخرى من الطيور البيضاء(٦٥) التي نصّ الرحّالة كوبر على أنَّه لم يسبق له أن شاهد مثلها في الأماكن التي مرّ بها(٦٦)(٦٧).

ممّا تقدم يمكن أن نلحظ أنّ الرحلات الأوربيَّة إلى العراق عمومًا، والمنطقة الجنوبيَّة على وجه التحديد قد مثّلت رافدًا مهمًّا من روافد استيفاء المعلومات التاريخيَّة الموثّقة كشهادات حيَّة لطبيعة الواقع الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ لذلك العصر، لا سيَّما أنَّ المنطقة كانت تعاني إهمالًا تعليميًّا، وثقافيًّا من جانب الحكومة العثمانيَّة، وعليّه مثّلت هذه الرحلات – على اختلاف توجّهاتها الفكريَّة والسياسيَّة – مرحلة تأسيسيَّة توثيقيَّة لدراسة تاريخ العراق في العهد العثمانيّ.

الخاتمة

تُعدُّ كتب الرحّالة أحد أبرز مصادر دراسة التاريخ الحديث، ولا سيَّما تاريخ الشرق العربيّ، والعراق الذي هو من أهمّ أقاليمه، ولعلّنا نؤشّر لأمر نعدّه جوهريًّا، وهو أنَّ أهمّيَّة هذه الرحلات متأتّية من سبقها الزمنيّ لرصد واقع الأحوال الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيّة لمنطقة جنوب العراق، ومن ثَمَّ مادّتها الغنيَّة والتفصيليَّة التي تمثّلت عبر المشاهدات الحيَّة، والمعايشات الميدانيَّة للمنطقة، فضلًا عن رصدها الدقيق لأهمّ الأحداث التي انتابت المنطقة.

وعلى الرغم من اختلاف المقاصد والغايات التي كمنت وراء تلك الرحلات، إلا أنَّها تناولت أبرز الأنشطة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، مع اهتمامها بالكثير من النشاطات الاجتماعيَّة والدينيَّة التي تزخر بها المنطقة، لا سيَّما حالة التعايش بين أبناء الديانات المختلفة التي كانت تقطن تلك المناطق، وأنَّ الغالبيَّة المسلمة كانت متعايشة سلميًّا مع أبناء الديانات الأُخرى (النصارى، اليهود، الصابئة).

لقد برّزت أغلب الرحلات حقائق تاريخيَّة مهمَّة، تمثّلت بالغياب الشامل والكامل لدور الدولة ومؤسّساتها في المنطقة، مع توافر حالات الرفض والمعارضة السياسيَّة التي أبداها سكّان المنطقة وتزايدها ضدّ الدولة العثمانيَّة وسياساتها، حتّى وُسِم ذلك الرفض بالأعمال المسلّحة، والعصيان المزمن.

وفي ضوء تلك المُسلَّمة التاريخيَّة والواقعيَّة التي حملها لنا الرحّالة توجّب على أهالي المنطقة – على وفق وصف الرحّالة – الاعتماد على مقدّراتهم الذاتيَّة والمحليَّة لإدارة أبرز نشاطاتهم الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة؛ لذلك اتّسمت تلك النشاطات باعتمادها على

الاكتفاء الذاتيّ، والتعويل على مصادر الدخل المحليَّة لأبرز تلك النشاطات، ومع ذلك وُصفت حركة التجارة الخارجيَّة لهذه المنطقة بأنَّها ذات نموّ مطّرد، وحركة تميّزت بالنشاط، ومع الازدهار في حركة التجارة، رأى معظم الرحّالة الذين تعاقبوا على المنطقة أنَّ الواقع الصحّيّ لأهاليها كان واقعًا متردّيًا بكلّ ما للكلمة من معنى، تمثّل بانتشار الأوبئة والأمراض الانتقاليَّة والسارية التي كان الإنسان الفقير هو الضحيَّة الأكبر فيها.

هوامش البحث

١. قدّرها كوركيس عواد بأكثر من ثلاثمائة رحلة. ينظر: مجلّة المورد، العدد الثالث (١٩٨٠م)، ص١٦٧.

٢. تشيزاري فيدريجي: تشيزاري (أي القيصر) ولد في ايربانو من المدن التابعة لمدينة البندقيَّة الإيطاليَّة، اكتسب خبرة في التجارة وطموحًا حفّزه على المغامرة في رحلة طويلة إلى الشرق. مات بين عامي (١٦٠٠، و١٦٠٢م)، حرّر وصيّته في السنة الأُولى، وحرّر كاتب العدل تركته في السنة الثانية بعد أن وافاه الأجل. ينظر: رحلة فيدريجي إلى العراق (القرن السادس عشر)، ترجمة وتعليق الأب د. بطرس حدّاد، مجلّة المورد، المجلّد ١٨، العدد ٤، بغداد ١٩٨٩، ص١٦٣.

٣. رحلات إلى العراق، ترجمة وتعليّق الأب الدكتور بطرس حدّاد، جمع وتقديم د . وسن حسين مجيد، دار الفراهيديّ للنشر والتوزيع، بغداد ٢٠١٢، ص١٧.

٤. المؤيّد: هي عملة نقديَّة عثمانيَّة، كان يتمّ التداول بها في العراق أثناء سيطرة الدولة العثمانيَّة، ويتداول بها الناس في هرمز، وهي تحمل نقشًا عثمانيًّا على وجهيها. ينظر: كاسبارو بالبي، رحلة الإيطاليّ كاسبارو بالبي إلى حلب – دير الزور – عنه – الفلوجة – بغداد ١٥٧٩، ترجمة وتعليّق الأب الدكتور بطرس حدّاد، الدار العربيَّة للدراسات، بيروت ٢٠٠٨، ص١٢٢ .

٥. رحلات إلى العراق، المصدر السابق ص١٩ – ٢٠ .

٦. المصدر نفسه ص٢٠ -٢٢ .

٧. كاسبارو بالبي: رحّالة إيطاليّ ولد عام ١٥٥٠ في البندقيَّة من أُسرة بالبي العريقة في البندقيَّة، عمل تاجرًا فسافر إلى مناطق متعدّدة في الشرق الأوسط والشرق الأقصى؛ سعيًا للحصول على التوابل والأحجار الكريمة وما إلى ذلك، تُوفِّي في عام ١٦٢٣ . https://ar.wikipedia.org/wiki

٨. كاسبارو بالبي، المصدر السابق، ص١١٢.

٩. المصدر نفسه، ص١١٣ .

١٠. الفالة: آلة صيد بدائيَّة ما زالت تستخدم في عمليَّة صيد الأسماك في الأهوار بصورة خاصَّة، وتتكون من خمسة رؤوس مدبَّبة من الحديد تشبه السهام، وتشدّ على خشبة، أو قصبة طويلة نسبيًّا وقويّة، وترمى بها الأسماك. مجلّة التراث الشعبيّ، دار الشؤون الثقافيَّة، بغداد، العددان ١-٢، ١٩٨٤.

١١. كاسبارو بالبي، المصدر السابق، ص١١٥ - ١١٦ .

١٢. المصدر نفسه، ص١١٣.

١٣. المصدر نفسه، ص١١٢-١١٣.

١٤. رحلة ديلا فاليه إلى العراق، (مطلع القرن السابع عشر)، ترجمها عن الإيطاليَّة وعلّق عليها، الدكتور بطرس حدّاد، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦، ص٨.

١٥. المصدر نفسه، ص٨ .

١٦. تعرّضت المنطقة الجنوبيَّة من العراق، ولا سيَّما البصرة إلى عدد كبير من

هجمات الدولة الصفويَّة التي يمكن وصفها بأنَّها تقع ضمن سياسة التنازع والتناحر السياسيّ بين الدولة الصفويَّة والدولة العثمانيَّة في القرن السابع عشر، فضلًا عن رغبة الدولتين في فرض سيطرتهما على العراق، للمزيد ينظر: ستيفن لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخيّاط، ط٤، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨، ص٨٢-٨٥ .

١٧. رحلة ديلا فاليه إلى العراق، المصدر السابق، ص١٢٣-١٢٩، ١٤٠ - ١٤١.

١٨. المصدر نفسه، ص١١٨.

١٩. الصابئة المندائيّون: طائفة استوطنت مناطق جنوب العراق منذ عهود قديمة إذ يؤكّد عدد من الباحثين أنَّ جذور هذه الطائفة تعود إلى الكلدان القدماء، وهم ينظرون إلى القدّيس يوحنّا المعمدان بالتبجيل والتقديس. للمزيد عن هذه الطائفة ينظر: الليدي دراوو، الصابئة المندائيّون، ترجمة نعيم بدوي، غضبان رومي، ط٢، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت ٢٠٠٥.

٢٠. رحلة ديلا فاليه إلى العراق، المصدر السابق، ص١١٨.

٢١. المصدر نفسه، ص١١٩.

٢٢. سيطر الأسطول البرتغاليّ على هرمز في عام ١٥٠٧ بقيادة البوكيرك. أحمد محمّد عبيد بطي الشامسيّ، الصراع البرتغاليّ العثمانيّ في القرن السادس عشر، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات العربيَّة المتحدة، ط٢، ٢٠١٣، ص١٠٧-١٠٨.

٢٣. رحلة ديلا فاليه إلى العراق، المصدر السابق، ص١١٩-١٢٠.

٢٤. الرحلة الشرقيَّة للأب فليب الكرملي (١٦٢٩م)، ترجمة وتعليّق

د. بطرس حدّاد، مجلّة المورد المجلّد ١٨، العدد ٤، بغداد ١٩٨٩، ص١٥٥ - ١٥٧.

٢٥. المصدر نفسه، ص١٥٩.

٢٦. المصدر نفسه، ص١٦١.

٢٧. المصدر نفسه، ص١٦١.

٢٨. تافرنييه، رحلة الفرنسيّ تافرنييه إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة كوركيس عواد، بشير فرنسيس، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، (د.ت) ص٦٧ -٦٨.

٢٩. المصدر نفسه، ص٩ -١٠.

٣٠. المصدر نفسه، ص٦٧-٦٨.

٣١. المصدر نفسه، ص٦٨.

٣٢. تُعدُّ أُسرة آل فراسياب من الأُسر المهمّة التي استطاعت حكم البصرة أثناء احتلال الدولة العثمانيَّة للعراق، إذ استطاعت هذه الأُسرة ان تنشئ حكومة مستقرّة في النصف الأوّل من القرن السابع عشر، وتمكّنت من إخضاع معظم القوى المعارضة، ولا سيَّما القبائل العربيَّة وخاصَّة بعد الفشل المتكرّر الذي لحق بالولاة العثمانيّين. للمزيد ينظر: مختصر تاريخ البصرة، عليّ ظريف الأعظميّ، مؤسَّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤، ص٨٠-٨٦.

٣٣. المصدر نفسه، ص٧١ -٧٢ .

٣٤. المصدر نفسه، ص٧٣- ٨٣.

٣٥. الرحّالة الإيطالي سيستيني، رحلة من إسطنبول إلى البصرة سنة ١٧٨١، ترجمها عن الفرنسيَّة وعلّق عليّها الأب بطرس حدّاد، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤، ص٦.

٣٦. المصدر نفسه، ص٦٢.

٣٧. المصدر نفسه، ص٦٢ -٦٣.

٣٨. المصدر نفسه، ص٦٥ .

٣٩.) ٣٨) المصدر نفسه، ص ٩٧.

٤٠. المصدر نفسه، ص٩٨.

٤١. المصدر نفسه.

٤٢. المصدر نفسه، ص٩٨- ٩٩ .

٤٣. رحلة تايلر إلى العراق (١٧٨٩ - ١٧٩٠)، تايلر، ترجمة وتعليّق الأب الدكتور بطرس حدّاد، مجلّة المورد، المجلّد الحادي عشر، العدد الأول، بغداد ١٩٨٢، ص٢٥ ؛ رحلات إلى العراق، المصدر السابق، ص١٠٢.

٤٤. رحلات إلى العراق، ص١٠٢.

٤٥. المصدر نفسه، ص١٠٣.

٤٦. المصدر نفسه.

٤٧. المصدر نفسه، ص١٠٦، رحلة تايلر، مجلّة المورد،٣١- ٣٢..

٤٨. يشير تايلر إلى شعوره بأمان عند مروره في بلدة سوق الشيوخ ومبيته فيها، فيما أشار في موضع آخر من رحلته أنَّ القافلة وعند مرورها في منطقة

كبيسة رفضت القافلةُ وشيخها النزول في هذه البلدة؛ لأنَّها وحسب رأي تايلر معروفة منذ زمن طويل بأنَّها ملجأ لقطّاع الطرق، ولا يقرب منها أحد إلّا وأخذوا منه الاتاوات والأموال، تايلر، المصدر السابق ص٢٨.

٤٩. رحلة تايلر، مجلّة المورد،٣٢- ٣٣.

٥٠. المصدر نفسه، ص٣٤.

٥١. رحلات إلى العراق، المصدر السابق، ص١٢٥.

٥٢. مشاهدات بريطانيّ عن العراق سنة ١٧٩٧م، للرحّالة الإنكليزيّ المعروف جاكسون، ترجمة خالد فاروق عمر، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠، ص٨.

٥٣. المصدر نفسه، ص١٩ .

٥٤. المصدر نفسه، ص٥٢.

٥٥.) ٥٤) المصدر نفسه، ص٥٠-٥١ .

٥٦. المصدر نفسه، ص٥٢ .

٥٧. المصدر نفسه، ص٥٣.

٥٨. المصدر نفسه .

٥٩. شركة لنج: شركة تابعة للبريطانيّين سُمّيت نسبة إلى الأخوين (توماس لنج وهنري لنج)، تملّكت الشركة بيتا تجاريًّا في بغداد عام ١٨٨٤-، ثُمَّ سمحت لهما الحكومة البريطانيَّة بتأسيس شركة الملاحة التجاريَّة، عُرفت باسم الفرات ودجلة للملاحة، قُدّر لها أن تؤدّي دورًا في تاريخ العراق

الحديث عن طريق سيطرتها على مقدّرات العراق الاقتصاديَّة، وكذلك كان لها دور في الاحتلال البريطانيّ للعراق عام ١٩١٤ . للمزيد ينظر: عليّ مدلول الوائليّ، شركة لنج للملاحة ١٨٦١-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيَّة الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١ .

٦٠. رحلة في البلاد العربيَّة الخاضعة للأتراك من البحر المتوسط إلى بومبي عن طريق مصر والشام والعراق والخليج العربيّ في ١٨٩٣ م، أ . ج سوانسن كوبر، ترجمة صادق عبد الركابيّ، الأهليَّة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص٢٧٩.

٦١. المصدر نفسه، ص٢٨٦-٢٨٧.

٦٢. المصدر نفسه، ص٢٨٨.

٦٣. المصدر نفسه، ص٢٩٢.

٦٤. المصدر نفسه، ص٢٩٣ .

٦٥. للمزيد ينظر: الحيوانات العراقيَّة في كتب الرحّالة الأوربيّين أيام الحكم العثمانيّ، عماد محمّد ذياب الحفيظ، مجلّة المورد، المجلّد ١٨، العدد ٤، بغداد ١٩٨٩، ص١٠٩-١١٩.

٦٦. للمزيد ينظر: الحيوانات العراقيَّة في كتب الرحّالة الأوربيين أيام الحكم العثمانيّ، عماد محمّد ذياب الحفيظ، مجلّة المورد، المجلّد ١٨، العدد ٤، بغداد ١٩٨٩، ص١٠٩-١١٩.

٦٧. أ . ج سوانسن كوبر، المصدر السابق، ص٢٩٤-٢٩٥.

قائمة المصادر والمراجع

١. أ. ج سوانسن كوبر، رحلة في البلاد العربيَّة الخاضعة للأتراك من البحر المتوسط إلى بومبي عن طريق مصر والشام والعراق والخليج العربي في ١٨٩٣م، ترجمة صادق عبد الركابي، الأهليّة للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٨.

٢. أحمد محمّد عبيد بطي الشامسي، الصراع البرتغاليّ العثمانيّ في القرن السادس عشر، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات العربيَّة المتحدة، ط٢، ٢٠١٣.

٣. تايلر، رحلة تايلر إلى العراق (١٧٨٩-١٧٩٠)، ترجمة وتعليّق الأب الدكتور بطرس حدّاد، مجلّة المورد، المجلّد الحادي عشر، العدد الأول، بغداد ١٩٨٢.

٤. تافرنييه، رحلة الفرنسيّ تافرنييه إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة كوركيس عواد، بشير فرنسيس،الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، (د.ت).

٥. الرحّالة الإيطاليّ سيستيني، رحلة من إسطنبول إلى البصرة سنة ١٧٨١، ترجمها عن الفرنسيّة وعلّق عليّها الأب بطرس حدّاد، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤.

٦. رحلات إلى العراق، ترجمة وتعليّق الأب الدكتور بطرس حدّاد، جمع وتقديم د. وسن حسين مجيد، دار الفراهيديّ للنشر والتوزيع، بغداد ٢٠١٢.

٧. رحلة ديلا فاليه إلى العراق، (مطلع القرن السابع عشر)، ترجمها عن الإيطاليّة وعلّق عليّها الدكتور بطرس حدّاد، الدار العربيَّة

للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦.

٨. الرحلة الشرقيَّة للأب فليب الكرملي (١٦٢٩م)، ترجمة وتعليّق د. بطرس حدّاد، مجلّة المورد المجلّد ١٨، العدد ٤، بغداد ١٩٨٩.

٩. رحلة فيدريجي إلى العراق (القرن السادس عشر)، ترجمة وتعليّق الأب د.بطرس حدّاد، مجلّة المورد، المجلّد ١٨، العدد ٤، بغداد ١٩٨٩ .

١٠. ستيفن لونكريك، أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخيّاط، ط٤ مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨ .

١١. عليّ ظريف الأعظميّ، مختصر تاريخ البصرة، مؤسَّسة هنداويّ للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.

١٢. عليّ مدلول الوائليّ، شركة لنج للملاحة ١٨٦١-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّيَّة الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١.

١٣. عماد محمّد ذياب الحفيظ، الحيوانات العراقيَّة في كتب الرحّالة الأوربيّين أيام الحكم العثمانيّ، مجلّة المورد، المجلّد ١٨، العدد ٤، بغداد ١٩٨٩.

١٤. كاسبارو بالبي، رحلة الإيطاليّ كاسبارو بالبي إلى حلب - دير الزور - عنه - الفلوجة - بغداد ١٥٧٩، ترجمة وتعليّق الأب الدكتور بطرس حدّاد، الدار العربيَّة للدراسات، بيروت ٢٠٠٨ .

١٥. الليدي دراوو، الصابئة المندائيّون، ترجمة نعيم بدويّ، غضبان روميّ، ط٢، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت ٢٠٠٥ .

١٦.

١٧. مجلّة التراث الشعبيّ، دار الشؤون الثقافيَّة، بغداد، العددان١-٢، ١٩٨٤ .

١٨. مجلّة المورد، العدد الثالث، ١٩٨٠ .

١٩. مشاهدات بريطانيّ عن العراق سنة ١٧٩٧م، للرحالة الإنكليزيّ المعروف جاكسون، ترجمة خالد فاروق عمر، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠.